الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

حقوق الطفل في الإسلام

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وجعلنا من خير أمة أخرجت للأنام، تأمر بالمعروف وتنهى عن الآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العلام، فضلنا بالشرائع والأحكام، أحمده سبحانه على فضله الخاص والعام، وأصلي وأسلم على سيد الأنام ومسك الختام، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام،

عباد الله، الإسلام دين العدل والرحمة والحق والخير، وما من خير في الدنيا والآخرة، وما من قيم عادلة ولا مبادئ جميلة إلا حواها الإسلام، وليس هذا من قبيل المزايدة السياسية أو المتاجرة بالشعارات، إنما هي الأصول الشرعية والحقائق الموضوعية لمن تأمل وقرأ ودرس الإسلام دراسة منصفة، وإن كان من غير أهله، وهكذا قال العقلاء بأن الإسلام دين يحوي القيم والأخلاق وهي أصيلة في ديننا وفي إسلامنا،

وإن الذي يقارن بين الفلسفات الأرضية والقوانين الوضعية والأطروحات البشرية الموجودة اليوم، كنظريات وفلسفات وأيديولوجيات من أجل إنقاذ البشر، يجد أنها نشأت تحت وطأة أوضاع اجتماعية ظالمة، فجاءت لتصحح هذه الأوضاع، أما الإسلام فهو دين الله المحكم، ورسالة الله الخالدة، أأنتم أعلم أم الله؟ ما من شرعة في الإسلام ولا قانون ولا أصل ولا شريعة ولا شعيرة في الإسلام إلا وهي من عند الله عز وجل، لم تخضع لهذه التفاعلات الاجتماعية والخلاصات البشرية، ومن هنا كان الإسلام هو الطريق الأقوم للبشرية،

إن العالم اليوم من حولنا يعج بالشعارات وثقافات كثيرة تتمادى وتخترق الفضاءات عبر الفضائيات والعولمة والاتفاقات والمؤتمرات والضغوط، من أجل أن نتبنى منهج غيرنا من الكفار ومن الملاحدة، باعتبار أن هذه خلاصة ما وصلت إليه الإنسانية،

وإن من هذه الفلسفات المطروحة ما يسمى بحقوق الإنسان، وإن حقوق الإنسان التي طرحت ووضعت لها اتفاقات وتقوم منظمات تدافع عن حقوق الإنسان، غير أن معاييرها للحديث عن الإنسان مزدوجة، فالإنسان هو الإنسان الأبيض الغربي الذي يحترم وله كافة الحقوق، أما الإنسان المسلم فلا قيمة له في أي بقعة من العالم،

وسوف أتحدث في هذه الخطبة بعد هذه التوطئة عن قضية مهمة جدًا من القضايا التي يتاجر بها الغرب ويتاجر بها الكفرة ويتاجر بها العلمانيون، ولا يريدون الحقيقة ولا الصواب، سوف أتحدث عن حقوق الطفل في الإسلام، وليس عند الكفار، لأن الكفار كما قلت لك إذا كان الطفل في دارفور فإنه لا قيمة له، أما الطفل في أمريكا وفي أوروبا فإنه ذا قيمة، أما الطفل عندنا فإن الإسلام أحاط الطفل بحماية عظيمة،

هذه الحماية قبل أن يولد الطفل أحاطه الإسلام بمجموعة من التدابير، ومجموعة من النظم، ومجموعة من السبل، لكي يخرج طفلًا سويًا سليمًا معافى، يؤدي دورًا ويتربى تربية صحيحة، ومن ذلك أن الإسلام حرم الزنا، وهذا حق للطفل في نسب معلوم، ليخرج إلى الحياة فيجد نفسه منتميًا إلى أسرة، يعرف أخواله وأعمامه وأهله وعشيرته، ينتمي إلى المجتمع، حماية للطفل من مشكلات المستقبل، وذلك من أبلغ ما جاء في الإسلام، حرم الزنا حفاظًا على الأنساب، وهذا بعض ما حرم به الزنا، لأن الطفل إذا خرج إلى الحياة بغير أب معروف كان هذا بداية مشكلات طويلة سوف تواجه الطفل حتى بعد أن يصير كبيرًا، إذًا حماه قبل أن يولد،

وأمر الرجال أن يتزوجوا بالمرأة التي سوف تكون محضنًا تربويًا لهذا الطفل، حتى ينشأ هذا الطفل في ظل أم طيبة الأخلاق تتعهده وترعاه، «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة، فاظفر بذات الدين تربت يداك»، كل هذا قبل أن يولد الطفل،

وقبل أن يولد الطفل منع الإسلام الإجهاض ليكون للطفل حق في الحياة، الإسلام يحرم الإجهاض، فمنع الإجهاض، وأبيح للحامل الفطر في رمضان، ورمضان ركن من الأركان، ولكن الإسلام أباح للأم الفطر، إنما أيضًا لأجل جنينها الذي يتخلق في أحشائها ليخرج إلى الحياة سليمًا معافى،

ومنع الإسلام إقامة الحدود على الحوامل حتى تضع الحامل حملها، كما ورد في حديث الأسلمية الغامدية التي جاءت وهي حمل، فأمر النبي برجمها، ولكن انتظرها حتى تضع جنينها، فلما جاءت تحمله أمرها أن ترضعه حتى يفطم، فجاءت به وفي يده قطعة خبز يأكلها، حتى علم أنه قد استغنى عنها، أقام عليها الحد، رعاية لهذا المسكين الذي لا جريمة له، إنما هو يتحمل جرائم الآخرين وتبعات الآخرين،

نعم، الإسلام يتعامل مع اللقيط الذي وجد في كرتونة أو في طريق أو أمام مسجد، يتعامل معه باعتبار ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، ولا ينظر إلى اللقيط باعتباره كما في ثقافة عامة الناس، إنه لا ذنب له، لم يختر أمًا ولم يختر أبًا، ولما فعلوا فعلتهم الشنعاء لم يستشيروه، ولما أخرجوه لم يتكلموا معه، ولم يكن آنذاك واعيًا، فلماذا يحاسب؟

وبالتالي يحفظ الإسلام حق الطفل وهو في الرحم، ولو أن طفلًا كان جنينًا في رحم الأم ومات الأب أخرج له ميراثه، وكان له حقًا في أن يرث، نعم يحفظ الإسلام ذلك، ويمنع تقسيم الورثة، حتى تقسيم الإرث حتى تضع الأم، وإن أبى الورثة إلا أن يقسموا فيقسموا على أن المولود ذكر، ثم إذا تبين أنه أنثى أخذ منه الباقي وقسم عليهم جميعًا، الإسلام يحمي الأطفال وهم أجنة في بطون وأرحام الأمهات، حتى إذا خرج إلى الحياة خرج إلى الحياة محفوفًا، نعم، في احتفالية بالغة وأهله يفرحون به،

وبالمناسبة إذا أردت أن تنظر إلى حقوق الطفل في المواثيق الدولية وإلى حقوق الطفل في الإسلام ستجد أولًا أن المشرع في حقوق الطفل في الإسلام رب العالمين، رب السماوات والأرضين، إله الخلائق أجمعين، والذي قرر ذلك ووضعه ونظمه وأتى به في الكتاب والسنة، يولد طفله ويؤذن في أذنه، هذا حق غير موجود في القوانين، واختيار الأم قبل أن يولد الطفل وفق أسس ومعايير، هذا غير موجود، إن من حق الطفل حقًا شرعيًا أن تختار له أمًا صالحة، ولو أنك لم تفعل هذا كنت آثمًا وكنت متعديًا وظالمًا لأبنائك، وبالتالي هذه حقوق عجيبة، يؤذن له، ويسمى له، ويحلق شعره، ويتصدق بوزن الشعر ذهبًا أو فضة على المساكين والفقراء، ويحنك، هذا يسمى التحنيك، يحنك الطفل،

وبعد ذلك أقر الإسلام للطفل بالرضاعة، ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾، ومنع الإسلام أن يكون الطفل ضحية الخلافات الأسرية بين الأب والأم، ولذلك قال في الآية التي بعدها ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وبالتالي ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ

وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾، هذا حق أحيانًا يختلف الأم والأب فتمسك الأم الطفل من أبيه أو تشحنه ضد أبيه، منع الإسلام ذلك، فأعطى الطفل حق الرضاعة، النفقة على الأطفال واجبة،

ثم أهم حق من الحقوق التي غفلت عنها القوانين الدولية حق الطفل في تربية إيمانية قوية، أن يربط الطفل بالله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، جاء الإسلام معززًا هذه المعاني وهذه القيم، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، الإسلام منهج قويم في كل مجالات الحياة وجوانب التشريع، من حق الطفل أن يربى تربية صحيحة وأن ينشأ تنشئة قويمة، وقد تحدثنا في خطب كثيرة عن الأطفال وتربيتهم وتعهدهم والقيام بواجبهم وحفظ حقوقهم ورعايتهم وربطهم بالله عز وجل، هذا أعظم حقوق الأطفال،

الآن يثير الناس مشكلة أن بعض المنظمات الساقطة أخذت بعض الأطفال من دارفور، وقد تم إحباط هذه المحاولة، ولا ندري هي المحاولة الأولى والأخيرة؟ أم تمت محاولات ماضية؟ في جنح الليل؟ لا والله، لا أقول في جنح الليل ولكن في وضح النهار، يا ترى كم طفل ذهب؟ ونحن لا نعرف به، كل هذا لا يجوز وحرام وممنوع، اختراق للسيادة الوطنية،

إن دخول المنظمات الأجنبية في بلادنا كان شرًا مستطيرًا، وإن كان لافتاتهم الإنسانية وشعاراتهم إغاثية، غير أن الأجندة الخفية واضحة جدًا، وينبغي أن يعلم الناس أن عدو دينك عدو لك، شئت أم أبيت، وإن دخول المنظمات الأجنبية كان خطرًا على عقيدتنا وعلى أخلاقنا، وها هو يمس حتى الأنفس، هذه أنفس بريئة جدًا، ينبغي على الناس عندما يناقشوا قضية ومشكلة الأطفال الذين تم استرقاقهم، بالله، هؤلاء الذين ينادون بالحرية، هؤلاء الذين ينادون بحقوق الإنسان، أنا ما أقول لكم إنها شعارات جوفاء، لا حقوق ولا إنسان إلا بمعايير الإنسان الذي يقرونه إنسان، أما الذي لا يرونه إنسان فإنهم لا يرون له حقًا،

إذًا للأسف الشديد هذه القضية بالغة الخطورة، هل هذا أول فوج؟ كم فوج ذهب؟ وهل يمكن أن يستردوا وأن يرجعوا؟ كلها تساؤلات عجيبة وقائمة في ظل هذه المسألة، وإن أخطر شيء ينبغي أن نتكلم عنه بوضوح، أما آن للناس في دارفور أن يعلموا أن ضريبة الحرب باهظة، هذا بعض ضريبة الحرب، هؤلاء الأطفال نشأوا في المعسكرات، غرر بهم، قال لهم نديكم حلاوة وبسكويت، وفي سؤال مهم جدًا: هل في ناس

سودانيين متعاونين معهم؟ عرفنا الذين يسمسرون في البيوت والعربات، بيسمسروا في البشر ديل، وأخطر منهم سماسرة الثقافة والمعتقدات والأفكار الذين يروجون لأفكار غيرنا وهم من بني جلدتنا وممن يتحدثون بألسنتنا، إنها مشكلة حقيقة، مشكلة كبيرة، الحرب تولد إفرازات خطيرة جدًا، هذه مسألة في غاية الخطورة،

أما آن للساسة ولحملة السلاح في دارفور أن يعلموا أن الحرب باهظة، وأن الخاسر هم هؤلاء، اللي بيتضرروا أولاد المساكين، أما آن لهؤلاء أن يرحموا المساكين، أن يرحموا هؤلاء المساكين من أهلهم في دارفور، خاصة حملة السلاح، وهل يمكن أن يأتيكم هؤلاء بحل؟ والله يا إخوانا هذه المسألة أفرزت إفرازات عجيبة جدًا، وولدت في النفس تساؤلات،

المجرمون الذين قاموا بهذه المحاولة بعد هذه الضجة الإعلامية سيمكثون سنة أو تزيد ثم يطلق سراحهم، كحادثة الممرضات البلغاريات اللائي قتلن أطفال المسلمين في ليبيا، كم طفل؟ أدوهم قروش، وهل المال يعيد الكرامة؟ هل المال يعيد الحياة؟ هل المال يساوي الإنسان؟ وهل قيمة الإنسان بالمال؟ كلام مؤلم،

أقول: الإسلام يتعهد الأطفال قبل أن يولدوا وهم أجنة في بطون أمهاتهم وأرحام أمهاتهم إلى أن يخرجوا إلى الحياة، ليكون طفلًا سويًا يتعهدهم بالتربية، حتى التربية الجسمانية أن يكون الطفل قويًا يلعب، حتى هذا اللعب مباح بالمناسبة ولا بد منه عند الأطفال، لا بد أن يلعب طفل كأقرانه،

نعم، هذا الذي حصل، وجد النبي صلى الله عليه وسلم شبابًا من الأنصار أطفال يلعبون، أطفال صغار يلعبون مع بعضهم البعض بالنبل، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «ارموا آل إسماعيل فإن أباكم كان راميًا»، أبوكم كان بتاع رماية، قال: يلا ارموا وأنا معكم، فجعل الطرف الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي وبقية الأطفال لا يرمون، قال: ما لكم ما ترمون؟ قالوا: لا نرميهم وأنت فيهم، وقال: ارموا أنا معكم جميعًا، يلعبوا، ويراعي الإسلام حتى هذه الفطرة في نفوس الأطفال أن يلعبوا،

ولكني أسأل سؤال، وختم الخطبة بكلام برضو مؤلم، لكن برضو سامحوني، أين التربية الإيمانية؟ إن من أكبر إشكالات التربية التسلط على الطفل، دع الطفل يختار، ضع للطفل شخصية مستقلة، خلي الطفل يتعامل تعامل الرجال، يحس أنه رجل وأنه ممكن يعطي، خليه يتحمل المسؤولية، أطفالنا بالطريقة دي ما بيبقوا قادة، لأننا ما زرعنا في نفوسهم قيمة أن يكونوا قادة،

جاء في ترجمته علي ابن الحسين ابن علي ابن أبي طالب، الملقب بزين العابدين، رضي الله عنه، أنه كان يقول لأبيه: إذا قمت إلى الليل فأيقظني، والله نحنا شفعنا بنخلوه في البيت وبنجي صلاة الفجر إلا من رحم الله، وين التربية؟ شوف النبي عليه الصلاة والسلام لما جاء في بيت ميمونة وابن عباس غلام صغير بات مع ميمونة وهي خالته، فقام يصلي من الليل، فجاء ابن عباس ووقف بالقرب من النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم من الأذن وأرجعه إلى موضعه كمأموم، وصلى ابن عباس صلاة الليل مع رسول الله وهو شافع،

ثم جاء في ليلة من الليالي الحسين بن علي ليقوم الليل، فلما نزل من على السرير وجد نفسه يطأ أكوامًا من اللحم، لقى نفسه راكب له في لحم بتاع بني آدم، فإذا بولده علي يرقد تحت السرير، قال: رقدت لك تحت السرير خشية ألا توقظني لتطأني فأقوم معك الليل، قال: إن كانت هذه همتك لقيام الليل والله لا أمنعك قيام الليل أبدًا،

ما بطال اللعب، ما ممنوع خاصة لطفل، لكن أن يتعلم القيم وأن تتعهده بالتربية بين الحين وبين الحين، أسأل الله جل وعلا أن يتقبل منا أجمعين، وأن يحفظنا وأن يحفظ ديارنا وأن يحفظ أبناءنا وأبناء المسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى اللهم وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم،

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وسأختم الخطبة بكلام مؤلم، إن الذي تم في دارفور من أخذ هؤلاء الأطفال إنما هو جريمة إنسانية، ولكن ما الحل؟ كل الناس يستنكر هذا الفعل، والحل، الحل إيقاف الحرب، الحل في بث التعايش والوئام والسلام، لا أقول بين أبناء الوطن الواحد، ولكن أقول بين المسلمين، وإنك لن تجد شريعة أجل ولا أكمل في رعاية الطفل وحمايته والحفاظ عليه كما في الإسلام، ولكن دعك من الأطفال الذين تم اكتشاف الذين أجرموا في حقهم، والحمد لله عادوا إلى ديارهم وإلى ذويهم سالمين، ولكن هل يوجد مثلهم في الخرطوم؟

كنت قد طرقت من على هذا المنبر من ذي قبل قضية أبناء الشوارع، الذين يرقدون على الأرصفة وينامون في المجاري، والذين تحولوا إلى متسولين، وهم في مقتبل العمر وفي بداية الحياة، والحياة أمامهم مظلمة، كنت قد تحدثت في خطبة عن اللقطاء الذين لا يعلم لهم أم ولا أب، وقبل أيام لقيت أطفال يقفون في طريق

من الطرق وهم يتسولون، تخيل، أول شيء جاء في خلدي سبحان الله، أول شيء ذكرته قلت: أقرانهم الآن في المدارس وفي الفصول وفي الحصص، ما هو ذنبه؟ وما هي جريمته؟ ولماذا يعاني هذه المعاناة؟

وأين دور المحسنين؟ وأين دور المفكرين؟ وأين دور المسؤولين؟ وأين دور الوزارات القائمة؟ أين دور هؤلاء؟ أليس من الحرام أن يكون طفل في هذا العمر يمسح لك قزاز العربية عشان تديه خمسمية حديدة؟ ما حرام؟ هذا يحصل في عاصمتنا، وعلى مرأى ومسمع منا، ماذا كان دورنا؟

والله أتردد كثير، أدور وأساعده، لكن بخاف إنه يستمرئ الشحدة، أنا داير يكون رجل في يوم من الأيام، شاب في مقتبل العمر وجيه، سلم علي، قال لي: يا شيخ محمد أنا داير أتزوج وداير تساعدني، يا أخي اسمع أنا داير أتزوج وأنا ما عندي أم ولا عندي أب، كيف؟ قال لي: أنا ربتني أسرة، تأثرت جدًا، قلت له: لقد من الله عليك، مثلك ما كان بمقاييس البشر أن يهتدي، كان ينبغي أن يكون حاقدًا على الناس، وما كان له أن يعرف الله، لأنه لم يجد من يربيه، لكن الله رباك بالخير، والهداية من الله، أنا عندي مشكلة في الزواج، ما مشيت أسرة إلا قالوا لي جيب أمك وأبوك، لقى بنت هتتزوجه، إن شاء الله قريبًا، لكن أنا هوريكم الشاهد اللي قلت له، قلت له: لأساعدنك على أن تؤسس أسرة عجز عنها والداك، لأساعدنك على أن تؤسس أسرة وأن تكون فردًا صالحًا، ولأساعدنك حتى شراء القطعة وحتى تتزوج،

إذًا نحن بحاجة إلى أن نؤسس لحقوق الأطفال في الإسلام قبل أن يولدوا بدفع الفساد وتقنين الزواج، إن الأطفال فلذات الأكباد يحملون في عيونهم البريئة المستقبل الزاهر والمشرق للبلاد، أو يحملون المآسي والشرور والآثام للمجتمعات، إنهم عيون بريئة، وأجساد غضة، وأيدٍ طرية، وعقول صافية، ينبغي أن نرعاها، إنما ينبغي أن نحتويهم بالحنان وبالعطف وبالرحمة، أسأل الله جل وعلا أن يرد الجميع إليه ردًا جميلًا،

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم وفقنا لما تحب وترضى، وخذ بنواصينا إلى البر والتقوى، اللهم أعنا لكل خير، وسددنا لكل رشاد يا رب العالمين، اللهم احفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء يا رب العالمين، اللهم احفظ أعراضنا وأعراض المسلمين، وشبابنا وشباب المسلمين من حملات التغريب وثقافات العولمة المنحرفة يا رب العالمين، اللهم خذ بأيديهم إلى الهدى والرشاد، وصلى اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا،

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/حقوق-الطفل-في-الإسلام/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com